

كتب على العلاقات بين مصر والسودان أن تظل متذبذبة، كلما استقرت على حال من الهدوء تجد ما يعكر صفوها، أو يحدُث بها توتر فتجد ما ينقذها ويعيدها إلى الهدوء، عندما لاحت فرص الاستقرار عقب سقوط نظام الرئيس السابق عمر البشير والتخلص من منغصاته قبل نحو خمس سنوات، أظهرت قوى مدنية خلافاً لا يقل حدة، ومع اشتعال الحرب بين قوات الجيش الدعم السريع منذ حوالي عام، انحازت القاهرة إلى الأول، ثم فوجئت بتنفلل عناصر لها توجهات إسلامية في صفوف المؤسسة العسكرية النظامية، وانفتاح قيادته على إيران التي لها طموحات كبيرة في السودان. فتح الحديث عن استخدام الجيش السوداني لطائرات مسيرة إيرانية في حربه ضد الدعم السريع الباب لنسيج علاقة قوية بين الخرطوم وطهران، ربما تستغلها الأخيرة في التسلل مرة ثانية إلى السودان، وتعيد تصحيح أخطاء تسللها الأولى سياسياً وعسكرياً وإبان عهد البشير الذي اضطر إلى قطع العلاقات الدبلوماسية معها إرضاءً لدول عربية، في مقدمتها السعودية التي وجدت في التواجد الإيراني تهديداً لمصالحها.

إذا كانت إيران ورقة للمناورة أو أداة لإرسال إشارات لقوى إقليمية، فإن نتيجتها لن تكون بالضرورة مجده، فهي لن تغامر في هذه المرحلة على الأقل بفتح مواجهة جديدة مع مصر تأتي العودة هذه المرة في ظل تحولات من أبرزها الحرب التي يواجه فيها الجيش السوداني ضغوطاً هائلة، وتحسين العلاقات بين طهران وكل من الرياض والقاهرة، وأوضاع خارجية ترفض ترسیخ أقدام إيران في شرق السودان، ويطل على البحر الأحمر ويمثل أهمية إستراتيجية كبيرة لقوى إقليمية ودولية عديدة لا تريد رؤية طهران تكتسب أرضاً جديدة في المنطقة، وخصوصاً على هذا الممر الحيوي بعد تصاعد المخاوف من تهديدات جماعة الحوثي في اليمن التي تملك علاقات وثيقة بإيران. راقت القاهرة الكثير من المشاكل الإقليمية التي تتورط طهران فيها، وحافظ كل طرف على مصالحه ضمن سياق علاقة خالية من الخصومة المباشرة أو التهديدات المزعجة، لأن غالبية المناطق التي لإيران تواجد ملموس فيها ابتعدت عن الاعتداء من خلالها على المصالح المصرية، وهو ما ظهرت تجلياته في حرب السفن في جنوب البحر الأحمر وقادتها جماعة الحوثي، أو حتى في لبنان عبر زراعتها حزب الله. وفي خضم قضايا شائكة لم يجر تجاوزها، على الرغم من أن العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بينهما نظرياً، وكل الاتصالات التي جرت مع مسؤولين كبار في البلدين تجاوزت هذه القطيعة تمهدلاً لعودة رسمية للعلاقات لم تحدث حتى الآن. لكن أن تضع إيران قدماً في السودان وسط أوضاعه الراهنة فهذا قد يمثل خطراً لمصر مستقبلاً، خاصةً أن ما يعرف بـ«دبلوماسية المسيرات» سبق وأن عانت منها القاهرة في ليبيا عندما زوّدت تركيا فريقاً من المتصارعين في الغرب بها وساندته عسكرياً بقوات ومعدات على حساب فريق آخر انحازت إليه مصر في شرق ليبيا، ثم تبيّن أن المسيرات مقدمة لما هو أخطر جاء من بعدها.

ال القاهرة راقت الكثير من المشاكل الإقليمية التي تتورط طهران فيها، وحافظ كل طرف على مصالحه ضمن سياق علاقة خالية من الخصومة المباشرة أو التهديدات المزعجة مع أن المعادلة في السودان مختلفة، فتزويـد المسيرات الإيرانية تم لصالح قوات الجيش، إلا أن مصر تزعـج من التدخلات الخارجية في الدول المجاورة عموماً، وتراها أدـاة لتغـذـية الحروب واستمرارـها فـترة طـولـية، وـتـوـجـدـ تـكـالـيفـ تـجـزـيـعـ هـذـهـ الـعـلـاقـاتـ الـعـلـىـ الـعـدـمـ

الـسـرـيعـ لـنـ تـوقـفـ عـنـ الـبـحـثـ عـنـ جـهـاتـ تـمـدـهاـ بـمـسـيرـاتـ وـأـنـوـاعـ عـدـةـ مـنـ الـأـسـلـحةـ،ـ هـكـذـاـ يـتـحـولـ السـوـدـانـ الـمـلـاـصـقـ لـمـصـرـ إـلـىـ

ـتـهـيـدـ مـبـاـشـرـ لـأـمـنـهـاـ الـقـومـيـ،ـ تـشـارـكـ فـيـهـ إـيـرانـ عـبـرـ مـدـ أـحـدـ أـطـرـافـهـ بـمـسـيرـاتـ الـآنـ،ـ ثـمـ تـوـثـيقـ الـعـلـاقـاتـ مـعـهـ لـلـحـصـولـ عـلـىـ اـمـتـياـزـاتـ حـبـوـيـةـ عـلـىـ الـبـحـرـ الـأـحـمـرـ.ـ مـهـمـاـ كـانـتـ درـجـةـ الـهـدـوـءـ بـيـنـ الـقـاهـرـةـ وـطـهـرـانـ،ـ لـكـنـ هـدـوـءـ لـمـ يـخـبـرـ فـيـ مـحـكـ مـزـعـجـ فـيـ السـنـوـاتـ الـعـشـرـ

ـتـالـيـةـ لـسـقـوـطـ نـسـاطـ جـمـاعـةـ الـإـخـوـانـ فـيـ مـصـرـ،ـ إـذـ اـرـتـضـيـ كـلـ طـرـفـ بـعـدـ قـيـاسـ تـبعـاتـ السـقـوـطـ تـجـنـبـ الصـدامـ،ـ وـتـجـاـوزـ الـبـلـادـ

ـاخـتـيـارـاتـ كـانـتـ إـيـرانـ طـرـفـ رـئـيـسـيـاـ فـيـهـ،ـ سـوـاءـ فـيـ الـيـمـنـ أـوـ سـوـرـيـاـ،ـ وـقـبـلـهـاـ الـعـرـاقـ وـلـبـانـ وـالـخـلـيـجـ،ـ وـصـوـلـ إـلـىـ الـمـنـاوـشـاتـ الـحـالـيـةـ

ـبـسـبـبـ الـحـربـ عـلـىـ غـزـةـ وـمـاـ تـمـخـضـ عـنـهـ مـنـ اـرـتـدـادـاتـ إـسـرـائـيلـيـةـ -ـ إـيـرانـيـةـ.ـ حـتـىـ وـلـوـ أـدـتـ مـسـاعـدـاتـ إـيـرانـ إـلـىـ تـفـوقـ الـجـيشـ

ـالـسـوـدـانـيـ الـذـيـ تـرـاهـ مـصـرـ الـقـوـةـ الـنـظـامـيـةـ الـتـيـ يـمـكـنـهـاـ أـنـ تـحـفـظـ أـمـنـ وـاستـقـارـ الـبـلـادـ،ـ فـلـاـ تـوـجـدـ دـوـلـةـ تـقـدـمـ مـسـاعـدـاتـ مـجـانـيـةـ،ـ فـمـاـ

ـبـالـنـاـ إـذـ كـانـتـ عـسـكـرـيـةـ وـمـنـ إـيـرانـ الـتـيـ اعتـادـ أـنـ تـضـمـنـ ثـمـنـ مـاـ تعـطـيهـ مـسـبـقاـ.ـ تـكـمـنـ الـمـشـكـلـةـ فـيـ تـزـامـنـ وـصـولـ الدـعـمـ إـلـيـانـيـ مـعـ

ـارـفـاعـ صـوتـ الـحـرـكـةـ إـلـيـلـامـيـةـ دـاـخـلـ الـمـؤـسـسـةـ الـعـسـكـرـيـةـ السـوـدـانـيـةـ،ـ وـيـعـتـقـدـ أـصـحـابـ هـذـهـ الصـوتـ أـنـ التـحـالـفـ مـعـ طـهـرـانـ أـدـاءـ

ـقـوـةـ وـرـدـعـ لـقـوـاتـ الدـعـمـ السـرـيعـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ يـقـلـ القـاهـرـةـ وـهـيـ الـتـيـ خـاصـتـ مـعـارـكـ ضـارـيـةـ ضـدـ قـوـىـ أـيـديـولـوـجـيـةـ تـاجـرـتـ بـالـدـينـ

ـفـتـرـةـ طـوـيلـةـ،ـ وـرـأـتـ هـذـهـ قـوـىـ أـنـ الـمـسـلـمـ إـلـيـانـيـ أـوـ الـفـلـيـنـيـ أـقـرـبـ إـلـيـهاـ مـنـ القـبـطـيـ الـمـصـرـيـ.ـ

ـالـحـدـيـثـ عـنـ اـسـتـخـادـ الـجـيشـ السـوـدـانـيـ لـطـائـرـاتـ مـسـيـرـاتـ إـيـرانـيـةـ فـيـ حـرـبـهـ ضـدـ الدـعـمـ السـرـيعـ فـتـحـ الـبـابـ لـنـسـجـ عـلـاقـةـ قـوـيـةـ بـيـنـ الـخـرـطـومـ وـطـهـرـانـ،ـ رـبـماـ

ـأـلـخـيـرـةـ فـيـ التـسـلـلـ مـرـةـ ثـانـيـةـ إـلـىـ السـوـدـانـ وـرـبـماـ تـكـونـ الـتـجـربـةـ فـيـ السـوـدـانـ أـشـدـ خـطـورـةـ،ـ حـيـثـ يـحـوـيـ هـذـهـ الـبـلـدـ تـيـارـاـ إـسـلامـيـاـ

ـمـتـشـدـداـ،ـ وـأـوـضـاعـهـ الـأـمـنـيـةـ مـهـتـزـةـ بـمـاـ يـجـعـلـهـ عـرـضـةـ لـلـاخـتـرـاقـ،ـ وـتـوـجـدـ بـقـايـاـ عـدـاـوـاتـ مـنـ قـبـلـ جـهـاتـ سـوـدـانـيـةـ الـقـاهـرـةـ،ـ وـمـنـ غـيرـ

المستبعد أن تدخل في تصفية حسابات معها باستخدام الأداة الإيرانية لاحقا. قد يكون رئيس مجلس السيادة الفريق أول عبدالفتاح البرهان استبق الهواجس المصرية، ومخاوف قوى إقليمية دولية أخرى، من الرمزية الإسلامية التي تنطوي عليها المسيرات الإيرانية، وكالاتهامات لعناصر تناصر هذا الاتجاه مثل كتيبة البراء، لكنه يحتفظ بالورقة للمناورة، وهل يمكن أن تدفع قوى لا ترتاح للتواجد الإيراني في السودان لتقديم مساعدات عسكرية بدلا منها أم يمضي في طريقه مع طهران. عرفت قوى عديدة ألاعيب البعض من القادة في السودان وبراجماتيتهم منذ عهد البشير، ولم يفلح هذا الاتجاه في تحقيق مكاسب لهم وقت أن كانت الأوضاع أكثر هدوءا، ولذلك إذا كانت إيران ورقة للمناورة أو أداة لإرسال إشارات لقوى إقليمية،